مكانة المرأة لدى الفرق الباطنية

د. سهام القادري*

المعهد العالي للعلوم الاجتماعية والتربية، جامعة قفصة، قفصة، تونس

* البريد الإلكتروني (للباحث المرجعي): sihem777.kadri@gmail.com

The status of women in esoteric teams

Dr. Sihem kadri*

Higher Institute of social sciences and Education, Gafsa Univercity, Gafsa, Tunisia

Received: 20-06-2025; Accepted: 04-08-2025; Published: 15-08-2025

الملخص:

يعرض هذا البحث مكانة المرأة في الدين الإسلامي وما تحظى به من منزلة باعتبارها كائن إنساني مساو للرجل تتمتع بكامل حقوقها عكس ما يقال ويروج عنها خاصة الصورة المشوهة لنظرة الإسلام للمرأة والتي لا صلة لها بالواقع.

بيّنت في مرحلة ثانية نظرة الفرق الباطنية للمرأة وهي نظرة متدنية تحط من قيمة المرأة وتغيب دورها في أغلب الأحيان، فتعتبرها مصدر للشر والخطيئة والنجاسة وتحرمها من جملة حقوقها. واستندت في هذا البحث على فرق محددة منها الإيزيدية والبهائية والإسماعلية والنصيرية.

الكلمات المفتاحية: المرأة، الدين الإسلامي، الحقوق والواجبات، الفرق الباطنية.

Abstract:

This research presents the status of women in the Islamic religion and the status they enjoy as human beings equal to men who enjoy all their rights, contrary to what is said and promoted about them, especially the suspicious image of Islam's view of women, which has no connection to.

While in a second stage, the esoteric sects' view of women is a low view that degrades the value of women and often neglects their role, considering them a source of evil, sin, and corruption, and depriving them of all their rights.

This research was based on the positions of specific groups, including the Yazidis, Baha'is, and Ismailis.

Keywords: Women, Islam, rights and duties, esoteric sects.

مقدمة:

ممّا لاشكّ فيه أنّ المرأة طرف هام وعنصر مكمل في الحياة منذ بداية نشأة الجنس البشري، تختلف هذه المكانة باختلاف الديانة فكل طائفة لها معتقداتها الخاصة التّي تميزها عن غيرها والتي تحدد قيمة المرأة بالاستناد إليها، والظاهر أنّ هذه القيمة تتوارثها الشعوب والأمم بتوارث الطقوس والعادات. مثل الدّين الإسلامي نقلة نوعية للمرأة فمنذ ظهوره رفع من قيمة المرأة وحفظ كرامتها وساوى بينها وبين الرجل، إلاّ أنّ هذا الأمر لم يعمم على كافة الأديان خاصة بعد تعرضها لتحريف رجال الدين فظلت نظرة بقية الأديان السماوية للمرأة نظرة دونية تحط من قيمتها لدرجة اعتقادهم بخرافات لا تمت للواقع بصلة ولا يقتصر هذا على أصحاب الديانات السماوية فقط بل يتعدى ذلك ليصل لبعض الفرق الباطنية التي تتبنى ذات الموقف.

فكيف صور الإسلام المرأة؟ وما هي رؤية الفرق الباطنية لمكانة المرأة لديهم؟ وفيم تتمثل أبرز خصائص هذه الرؤية؟

1_صورة المرأة في الإسلام:

أ. المرأة نظير مساو للرجل في الإنسانية

كرّم الدين الإسلامي المرأة ورفع من درجتها في مقابل ما كانت تعانيه من الذُّل والهوان في الحضارات السابقة للإسلام، فجاء الإسلام فمتّع المرأة بحقوق لم يسبق وأن حظيت بها، ولعل النص القرآني يمثل خير دليل على هذه المنزلة الرفيعة فقد وردت العديد من الآيات القرآنية التي تؤكد على أهمية احترام المرأة وتعزز قيمتها فتعتبرها كائن إنساني مثلها مثل الرجل، فكلا هما من أصل واحد كقوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[1] " ومن خلال قوله تعالى :﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2] ، وقوله تعالى:﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾[3] تقرير لمسؤوليتهما عن عمارة الأرض والاصلاح فيها، وقوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[4] .

كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم العديد من الأحاديث التي حثت على حسن معاملة المرأة سواء كانت أم أو زوجة أو أخت أو ابنة، كقوله عليه الصلاة والسلام: "من ابتُلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترا من النار"[5] وقوله أيضا:" رفقا بالقوارير"[6] كناية عن النساء، وقول علي رضي الله عنه:" ما أكرم النساء إلاّ كريم، وما أهانهنّ إلاّ لئيم"[7] وقوله بمعنى:" خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي"، وقوله:" فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهنّ خيرا"[8] وقوله:" إنما النساء شقائق الرجال" [9] وقال عمر بن الخطاب:" والله إن كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمرا حتى أنزل الله فيهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم"[10]، فكل هذه النصوص ترفع من قيمة المرأة وتعلي من شأنها وتضعها موضعا يليق بها.

---

[1] النساء (1).
[2] الروم (21).
[3] النحل (72).
[4] النساء (19).
[5] رواه البخاري، حديث عدد 1418.
[6] رواه البخاري، حديث عدد 5857.
[7] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج70، ص153.
[8] رواه البخاري 5186 ومسلم 1468.
[9] الترمذي، حديث رقم 105.
[10] أخرجه البخاري: كتاب التفسير، سورة التحريم باب (تبتغي مرضات أزواجك)، ج1، ص418.

ب. المرأة كيان يتمتع بحقوق كاملة وطرف مساعد في الحياة

سبق الدين الإسلامي جميع الشرائع فرفع منزلة المرأة وأسس لنظام جديد وهيأ لأرضية خاصة تحميها من كل أشكال العنف والتطرف المادية والمعنوية وساوى بينها وبين الرجل وبذلك تجاوز ما كان سائدا قبل ظهور الإسلام من وأد واستنقاص لقيمة المرأة، ووصفها بأبشع النعوت وحرمانها من التمتع بحقوقها وواجباتها، فجاء الإسلام وحررها من جميع مظالم الجاهلية يقول تعالى:﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (58) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ(59)﴾[1] إنّ من مظاهر اعلاء الإسلام لمكانة المرأة جعلها شريكة للرجل في الإنسانية ومنحها جل حقوقها وواجباتها ورُفع من شأنها في مختلف جوانب الحياة، حتى هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كانت المرأة طرفا فاعلا فيها يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحلَلنَا لَكَ أَزوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَت يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرنَ مَعَكَ ﴾[2]، ولو يقف دور المرأة عند هذا الحد فقد شاركت في مبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلمُؤمِنَٰتُ يُبَايِعنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشرِكنَ بِاللَّهِ شَيـًٔا وَلَا يَسرِقنَ وَلَا يَزنِينَ وَلَا يَقتُلنَ أَولَٰدَهُنَّ وَلَا يَأتِينَ بِبُهتَٰنٍ يَفتَرِينَهُۥ بَينَ أَيدِيهِنَّ وَأَرجُلِهِنَّ وَلَا يَعصِينَكَ فِي مَعرُوفٍ فَبَايِعهُنَّ وَٱستَغفِر لَهُنَّ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[3] .وبذلك فإن الإسلام أعطى للمرأة الحق في المشاركة في اختيار من ينوبها ويتحدث باسمها.

كما حظيت المرأة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم بالحق في التعليم مثلها مثل الرجل وذلك بعد مطالبتهن من الرسول الكريم مزيدا فرص التعليم، حيث تبين عن الرسول عليه الصلاة والسلام" عن أبى سعيد قال: جاءت امرأة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله. فقال: "اجتمعن في يوم كذا وكذا، في مكان كذا وكذا". فاجتمعن فأتاهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلمهن مما علمه الله ثم قال: "ما منكن امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة إلا كان لها حجابا من النار فقالت امرأة منهن: يا رسول الله اثنين؟ قال: فأعادتها مرتين ثم قال: "واثنين واثنين"[4] فالإسلام يحث على طلب العلم للرجال والنساء على حدٍ سواء ولم يحرم المرأة من حقها في التعلم فقط لجنسها. وأكثر ما يدل على ذلك أن أغلب الأحاديث المروية عن الرسول صلى الله عليه وسلم كانت مروية من طرف أمهات المؤمنين ومن بينهنّ حفصة وأم سلمة وزينب بنت جحش وأم حبيبة وأكثرهنّ رواية السيدة عائشة رضي الله عنهنّ أجمعين.

---

[1] النحل (59/58).
[2] الأحزاب (50).
[3] الممتحنة (12).
[4] أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب تعليم النبي صلى الله عليه وسلم أمته من الرجال والنساء مما علمه الله، ج17، ص55.

والغريب في الأمر بعد هذا العرض أنّ أهل الكتاب يعيبون على الإسلام عدم ضمانه لحقوق المرأة والحدّ من حريتها. فنجدهم قد رسموا صورة مشوهة عن المرأة المسلمة أو عن نظرة الإسلام للمرأة بصفة عامة، فكانت المرأة فيها عنوانا للاضطهاد والضعف والاستعباد.

لم تتأثر الفرق الباطنية بالأسس التي وردت في الدين الإسلامي فقد كانت تنظر للمرأة نظرة متدنية تحط من قيمتها والتي أخذتها عن اليهودية والمسيحية وعن الحضارات القديمة، وفي هذا المجال لا يمكن عرض جل مواقف الفرق الباطنية فيما يتعلق بالمرأة لذلك سأقتصر فقط على بعض الفرق كالنّصيرية والإيزيدية والبهائية والإسماعلية.

2. المرأة من منظور الفرق الباطنية:

إنّ الدارس لعقائد وطقوس وعادات الفرق الباطنية يلحظ المكانة المتدنية للمرأة من خلالها، فلهم رؤى مختلفة تضع المرأة موضع ازدراء واحتقار فتُسلب من كرامتها وقيمتها الإنسانية وتعامل على كونها شيء لا يحمل قيمة بل يعتبرونها مجرد شيء لا يحق له حتى ملكية ذاته، فالمرأة من منظورهم هي في تبعية للرجل سواء كان أبوها أو زوجها.

أ. المرأة مصدر الشرّ وسبب الخطيئة:

تتفق كل من الإيزيدية والأسماعلية والبهائية على فكرة أنّ المرأة هي مصدر الشرّ وسبب الخطيئة والمعصية التي ارتكبها آدم وخرج على أساسها من الجنة، فحواء أغوت آدم ليأكل من الشجرة التي حرّمها الله، ولابد من الإشارة إلى أنّ هذه الفكرة لها جذور في الأديان القديمة الوثنية ولها جذور أيضا في فكر أهل الكتاب فحمل سفر التكوين ما يفيد هذا المعنى وأصحاب الديانة المسيحية لهم نفس الرؤية والمتمثلة في: "أنّ الجنس البشري كله تعرض للهلاك الأبدي بسبب عصيان المرأة وإغوائها لزوجها آدم لو لا ما تفضل الله على النّاس بنعمة الفداء التي تمثلت في صلب المسيح الذي هو الله نفسه حل في جسد الآدمي"[1]. إذن فكما هو ظاهر فإن الفرق الباطنية تلصق بالمرأة معصية خروج آدم وحواء من نعيم الجنة إلى شقاء الأرض وهذه الصورة لا تمثل منظور الدين الإسلامي الذي نسب المعصية إلى كليهما أي أن كل من آدم وحواء يتحملان مسؤولية أكلهما من الشجرة المحرمة والتي على إثرها خرجا من الجنة فجاء خطاب النص القرآني موجه لكليهما وليس لحواء فقط حيث يقول جلّ جلاله:﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾[2] وقوله تعالى:﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[3] إذن فالقرآن الكريم لا يخص المرأة بالمعصية والغواية مثلما ذهب لذلك أهل الكتاب بل جعل هذا الذنب مشترك بين آدم وحواء.

---

[1] محمد عبد الحميد، محمود: حقوق المرأة بين الإسلام والديانات الأخرى، مكتبة مدبولي، ط1، 1411ه/1990م، ص34.
[2] الأعراف (20).
[3] الأعراف (22).

وفي نفس هذا التوجه الذي يحط من قيمة المرأة، للإسماعلية رؤية خاصة بها فيعتقدون أنّ" النساء والمال سبب القتال والتناحر بين الناس لذلك يجب تحليل النساء وإباحة الأموال، وبهذا ينقطع الشقاق وينعم عيش الإنسانية"[1]، فالإسماعلية تعتبر المرأة شرٌ لابد التخلص منه بإباحته وهذه نظرة تحط من قيمة المرأة ككائن إنساني وهي فكرة متجذرة منذ القدم ارتبطت أساسا بعلوية منزلة الرجل في مقابل المرأة، فالإسلام حرر المرأة من هذه المعتقدات القائمة على العنصرية وساوى بينهما وبين الرجل واعتبر أن الفارق الوحيد بينهما درجة التقوى يقول تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[2].

ب. المرأة كائن نجس:

خلافا للنظرة التي تحصر المرأة في كونها مصدرًا للشرّ ومثالاً للمعصية هناك رؤية أخرى تحط من قيمة المرأة بشكل أكبر فتعتبرها كائن نجس يجب اجتنابه لدرجة وضعت في ذات المرتبة مع الحيوان، وهذا الفكر نجد أثره في الديانات الوثنية القديمة بالإضافة إلى اليهودية والمسيحية ولعلّ الفرق الباطنية أخذت هذه الأصول عنهم.

تذهب الطائفة الإيزيدية في هذا المنحى ويظهر ذلك من خلال رؤيتهم لبدء الخلق ونشأة الجنس البشري فيعتقدون أنهم من جنس فريد فهم أبناء آدم فقط ويروون في هذا الإطار رواية أسطورية مفادها أنّ آدم وحواء قد تخاصما على الاختصاص بالنسل فكل منهما يقول منه إلى حين أن اتفقا أن يضع كل منهما شهوته في جرّة وبعد فترة وجد آدم طفلين بالجرّة ذكر وأنثى في حين وجدت حواء ديدان وحشرات[3]. اختصرت هذه الرواية صورة المرأة في المعتقد الإيزيدي والمكانة التي تضطلع بها والتي دون مكانة الرجل الذي يفوقها لاختصاصه بالنسل البشري وهذا ضد ما ورد في النص القرآني من خلال قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[4] .

أمّا فيما يتعلق بنظرة النّصيرية للمرأة فتتجلى في عدّة جوانب لعلّ أهم الطقوس التي تجسم النظرة المتدنية للمرأة النّصيرية واعتبارها كائن نجس تحريمهم لأكل أنثى الحيوان التي تحيض[5] وربما لهذه الفكرة أصول يهودية، فالمرأة اليهودية خلال فترة حيضها أو ولادتها تعتبر نجسة وكل من يقربها تمسه نجاستها وهم يرون أنّ هذه النجاسة هي تكفير عن المعصية التي ارتكبتها. في المقابل كرّم الإسلام المرأة في جميع حالاتها بل متّعها برخص شرعية أثناء هذه الفترة تسقط عنها التكاليف الشرعية من صوم وصلاة وطواف لغاية التيسير ورفع الحرج.

---

[1] عثمان، هاشم: الإسماعلية بين الحقائق والأباطيل، تقديم الدكتور عارف تامر منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات، ط1، 1419ه/1998م، ص73.

[2] النساء (1).

[3] أنظر الحسني عبد الرزاق، اليزيديون في حاضرهم وماضيهم، مطبعة العرفان صيدا، ط2، ص25.

[4] النساء (1).

[5] الشكعة، مصطفى: إسلام بلا مذاهب، الدار المصرية اللبنانية، ط13، 1418ه/1997م، ص380.

ج. حرمان المرأة من أغلب حقوقها:

لعل النظرة التي تحملها الفرق الباطنية تجاه المرأة من اعتبارها مصدر الخطيئة ووصفها بالنجاسة يؤدي أليا إلى حرمانها من جلّ حقوقها وقصر وظيفتها في جانب واحد فقط وهو المحافظة على استمرارية النسل البشري والذي سُحب منها هو الآخر في معتقد الإيزيدية، غالبا ما وقع اعتبار المرأة مجرد شيء لا قيمة له في فكر مثل هذه الطوائف فحرمت من أبسط حقوقها.

فمثلا المرأة النصيرية محرومة من حقها في تعلم أسس دينها ويعللون ذلك بضعف عقل وإرادة المرأة النصيرية لذلك قرروا عدم اطلاعها على أسرار ديانتهم إضافة إلى أنها أكثر مكر واحتيال من الرجل وهي مصدر الشرّ [1] في حين يقع تلقين الرجل النصيري العقيدة عند بلوغه السنّ المحدد. فالمرأة النصيرية من أجهل نساء العالم إلاّ من خرجت عن تعاليمهم[2]، تلتقي الطائفة النصيرية في هذا الجانب مع الإيزيدية التي تحرم بدورها القراءة والكتابة وتقصرها على الشيوخ وهو ما خلّف طوائف إضافة إلى معاناتها من الفقر والتهميش عانت بشكل أفضع من الجهل خاصة في صفوف النساء وربما كان هذا السبب في وقوع كل أشكال البلاء على هذه الفئات دون غيرها.

فالمرأة الإيزيدية في مقابل حرمانها من جميع حقوقها وُضع على عاتقها جملة من الواجبات والأعباء الكثيرة التي يأبى الرجل أن يحملها فكلفت بتربية الأطفال وأعمال البيت من غسل وطبخ بالإضافة إلى العمل في الحقول في المواسم الزراعية ومطالبة كذلك بالمشاركة في تحضيرات الأعياد والمناسبات الدينية المختلفة، فتقوم بالطبخ وتنظيف المعبد وتجهيز مراسيم الاحتفالات، وأمام ثقل هذه المسؤولية لا تحمل المرأة الإيزيدية أي لقب ديني، وقد أشار الباحث" كاظم حبيب"[3] إلى أنّ هذه الوضعية المتردية للمرأة لا تقتصر على الطائفة الإيزيدية فقط بل تشمل جميع نساء العراق، فتفرض على المرأة جملة من العادات والتقاليد الجائرة، فالمرأة الإيزيدية عانت ولازالت تعاني من الاختطاف والثأر واستعادة الشرف، ولابد من الإشارة إلى مدى أثر النظام التراتبي في المجتمع الذي تعتمده الإيزيدية والذي يعمق الطبقية وبالتالي يعيق التواصل في ما بينهم فكان نتيجة لتحريم الزواج بين الطبقات الدينية والاجتماعية. لذلك يدعو "كاظم حبيب" المرأة الإيزيدية والعراقية بصفة عامة إلى النضال من أجل بلوغ حريتها والتخلص من كل أشكال العبودية والتبعية فرغم المحاولات المحتشمة التي قامت بها وذلك بمزاولتها لمقاعد التعليم إلا أنها تبقى محاولات محدودة مقتصرة على فئة دون أخرى ولا يمكن تعميمها، لذلك وجب على المرأة بذل الجهد في سبيل الرفع من مكانتها والحد من كل مظاهر الاحتقار والهوان.

---

[1] الحلبي، سليمان: الطائفة النصيرية، تاريخها وعقائدها، الدار السلفية، 1404ه/1984م، ص44/ الشكعة مصطفى: إسلام بلا مذاهب، ص380.

[2] عواجي، غالب بن علي: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وموقف الإسلام منها، ط1، 1414ه/1993م، ص 336.

[3] حبيب كاظم: الإيزيدية : ديانة عراقية شرق أوسطية قديمة، دراسات دار نينوى، ط1437،1ه/2016م، ص134.

لم يقتصر حرمان المرأة من حقها في التعليم والمعرفة بل تعدى ذلك فقد أُسقط حقها في الميراث، فالمرأة النصيرية على سبيل المثال لا ترث إن كان لها إخوة ذكور [1] وهذا مخالف للإسلام الذي جاء بقانون يحفظ حق المرأة في الميراث في جميع وضعياتها سواء في حالة وجود أبناء أو أخوة أو زوج أو أباء يقول تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾ ، [2] ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ ۚ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ ۚ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ۚ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ۚ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ [3] حيث تحدد هذه الآية نصيب الأولاد من الإرث بما فيهم البنت باختلاف صفتها سواء كانت أخت أو زوجة أو أم، فحق المرأة في الميراث محفوظ ويختلف بحسب حالتها. وفي ذات السياق تحرم البهائية المرأة من أشياء كثيرة في الإرث[4]، فرغم رفعها لشعار المساواة بين المرأة والرجل تبقى مجرد مصيدة لجذب الأنظار لها ولشرعنة أفكارها.

إنّ السياسة المعتمدة من قبل هذه الطوائف والتي تقوم أساسا على الحط من قيمة المرأة ومحاولة جعلها مجرد شيء يستغل حسب الحاجة ويُترك، ساهم بتقادم الزمن في تكوين امرأة هشّة غير قادرة على حماية ذاتها غير مستقلة وفي تبعية دائمة لطرف أخر ولعلّ هذه الوضعية كانت السبب وراء تعرض النساء لمختلف أشكال العنف فكنّ عرضة للاغتصاب والقتل والسبي، ولعل أبرز مثال على ذلك ما حدث للنساء الإيزيديات اللاّتي تعرضن لكل صنوف العنف على أيادي التكفيريين. فكنّ الطرف الأضعف في هذه الدائرة.

خاتمة:

لا شكّ أنّ الباحث في متعلقات المرأة منذ بدء الخليقة إلى يومنا هذا يلحظ أنّ المرأة لها مكانة قد اختلفت من عصر لآخر ومن طائفة لطائفة أخرى حسب رؤاها فكلٌ يحدد قيمة المرأة انطلاقا من الطقوس والعادات المتوارثة والتي غالبا ما تكون لها جذور في الديانات القديمة ولم يختلف الأمر كثيرا تحديدا المسيحية واليهودية فبقيت المرأة في ذات الركن الذي وضعت فيه، لكن مع ظهور الدين الإسلامي وما حمله من عقائد وشرائع حملت المرأة إلى مكانة أرفع ممّا كانت عليه، فساوى بينها وبين الرجل ومتعها بجملة

[1] الشكعة، مصطفى: إسلام بلا مذاهب، ص380.
[2] النساء، من الآية (11).
[3] النساء (12).
[4] عواجي غالب بن علي: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، ص462.

من الحقوق ورفع من شأنها فكرمها وألبسها لباس الطهر والتقى مكان لباس الخطيئة والنجاسة الذي ألبسته إياها بقية الطوائف، فخاطب النص القرآني كلا الطرفين النساء والرجال.

والغريب في الأمر أنّ دعاة الحرية يعتقدون أنّ الإسلام يفاضل بين المرأة والرجل وأنّ المرأة طرف هشّ مسلوب الحرية، إنّ أصحاب هذا الرأي عليهم دراسة ما شهدته المرأة من تهميش واحتقار منذ القدم وعلى مر العصور في المقابل ماذا قدم لها الدين الإسلامي من حرية وكرامة، فالإسلام سوى بين المرأة والرجل في أمور تقتضي المساواة وميز الرجل في أمور تقتضي تميزه عليها.

المصادر والمراجع

1. **القرآن الكريم برواية قالون.**
2. صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب تعليم النبي صلى الله عليه وسلم أمته من الرجال والنساء مما علمه الله، ج1.
3. محمد عبد الحميد، محمود: حقوق المرأة بين الإسلام والديانات الأخرى، مكتبة مدبولي، ط1، 1411هـ/1990م.
4. الحلبي، سليمان: الطائفة النصيرية: تاريخها وعقائدها، الدار السلفية، 1404هـ/1984م.
5. عواجي، غالب بن علي: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وموقف الإسلام منها، ط1، 1414هـ/1993م.
6. حبيب كاظم: الإيزيدية: ديانة عراقية شرق أوسطية قديمة، دراسات دار نينوى، ط1437،1هـ/2016م.
7. الشكعة، مصطفى: إسلام بلا مذاهب، الدار المصرية اللبنانية، ط13، 1418هـ/1997م.
8. عثمان، هاشم: الإسماعلية بين الحقائق والأباطيل، تقديم الدكتور عارف تامر منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات، ط1، 1419هـ/1998م.
9. الديوه جي، سعيد: اليزيدية، دار فارس للنشر والتوزيع، ط1، 2003م.
10. الخيون، رشيد: المذاهب والأديان في العراق، منشورات الجمل، ط1، 2003.
11. محمد أبو شقة عبد الحليم، تحرير المرأة في عصر الرسالة: دراسة عن المرأة جامعة لنصوص القرآن الكريم وصحيح البخاري ومسلم.
12. مطهري، مرتضى، حقوق المرأة في النظام الإسلامي، دار التعارف للمطبوعات، 2005
13. حسني عبد الرزاق، اليزيديون في حاضرهم وماضيهم، مطبعة العرفان، صيدا.